

(٨) [القيوم]

ورد هذا الاسم الجليل في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم مقترناً باسمه سبحانه (الحي) وذلك في قوله - عز وجل - : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقوله سبحانه: ﴿الْم ۝ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝﴾ [آل عمران: ١، ٢]، وقوله - عز وجل - : ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١].

ولم يرد هذا الاسم الكريم منفرداً في القرآن الكريم. ولكن ورد ذكر (القائم) في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣]، والقيام على كل نفس من لوازم اسمه سبحانه (القيوم).

أما في السنة فقد ورد مقترناً باسمه (الحي) كما في قوله ﷺ: (يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث)^(١)، وجاء مفرداً مضافاً في قوله ﷺ في استفتاح صلاة الليل: (اللهم لك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن... الحديث)^(٢).

المعنى اللغوي:

قال في اللسان: «معنى القيام: العزم... ويجيء القيام بمعنى المحافظة والإصلاح ومنه قوله تعالى: ﴿الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣٤]. وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ [آل عمران: ٧٥] أي: ملازمًا محافظًا، ويجيء القيام بمعنى الوقوف والثبات... وقال قتادة: «القيام: القائم على خلقه بأجلهم، وأعمالهم، وأرزاقهم»^(٣).

(١) سبق تخريجه ص ١٥٤ .

(٢) البخاري (١١٢٠)، ومسلم (٧٦٩).

(٣) لسان العرب ٣٧٨١/٥، ٣٧٨٦.

المعنى في حق الله تعالى:

ذكر الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - معنى هذا الاسم العظيم في أكثر من موطن من كتبه. ومن ذلك قوله: «معنى اسمه (القيوم): هو الذي قام بنفسه فلم يحتاج إلى أحد، وقام كل شيء به فكل ما سواه محتاج إليه بالذات»^(١).

ويقول في موطن آخر: «فالقائم بنفسه أكمل ممن لا يقوم بنفسه، ومن كان غناه من لوازم ذاته فقيامه بنفسه من لوازم ذاته. وهذه حقيقة قيوميته سبحانه. وهو (الحي القيوم) فالقيوم: القائم بنفسه المقيم لغيره»^(٢).

وقال في موطن ثالث: «وأما (القيوم) فهو متضمن كمال غناه وكمال قدرته، فإنه القائم بنفسه لا يحتاج إلى من يقيمه بوجه من الوجوه. وهذا من كمال غناه بنفسه عما سواه، وهو المقيم لغيره فلا قيام لغيره إلا بإقامته، وهذا من كمال قدرته وعزته»^(٣).

ويقول الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - عن هذين الاسمين الكريمين: (الحي) الجامع لصفات الذات. و(القيوم) الجامع لصفات الأفعال»^(٤).

فتضمن هذان الاسمان الكريمان معاني أسمائه وصفاته وأفعاله، ولهذا قيل: إن (الحي القيوم) هو الاسم الأعظم.

ومن معاني (القيوم) الباقي الذي لا يزول، وهذا المعنى قد أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - بقوله: «لهذا كان اسم «القيوم»

(١) مدارج السالكين ١١١/٢.

(٢) الصواعق المرسله ٤/١٣٢٨، ١٣٢٩.

(٣) بدائع الفوائد ٢/٤١٠.

(٤) تفسير السعدي ٥/٤٩٠.

يتضمن أنه لا يزول، فلا ينقص بعد كماله، ويتضمن أنه لم يزل ولا يزال دائماً باقياً أزلياً أبدياً موصوفاً بصفات الكمال، من غير حدوث نقص أو تغيير بفسادٍ واستحالةٍ ونحو ذلك مما يعترى ما يزول من الموجودات، فإنه - سبحانه وتعالى - «القيوم». ولهذا كان من تمام كونه قيوماً لا يزول أنه لا تأخذه سِنَّةٌ ولا نومٌ، فإن السِنَّة والنوم فيهما زوال ينافي القيومية، لما فيهما من النقص بزوال كمال الحياة والعلم والقدرة، فإن النائم يحصل له من نقص العلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام وغير ذلك ما يظهر نقصه بالنسبة إلى اليقظان. ولهذا كان النوم أخا الموت»^(١).

من أثار الإيمان بهذين الاسمين الكريمين:

أولاً: محبته سبحانه وحمده وإجلاله وتعظيمه.

ثانياً: التبرؤ من الحول والقوة والافتقار التام لله - عز وجل - وإنزال جميع الحوائج بالله - عز وجل - وإخلاص الاستعانة والاستغاثة والاعتصام لله - عز وجل - وقطع التعلق بالخلق الضعيف المربوب لله تعالى المفتقر إلى ربه - عز وجل - الفقر الذاتي التام. ولذا وردت الاستغاثة باسمه (الحي القيوم)، كما جاء في الحديث السابق: (يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث)^(٢).

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: «انتظم هذان الاسمان صفات الكمال والغنى التام، والقدرة التامة، فكأن المستغيث بهما مستغيث بكل اسم من أسماء (الرب) تعالى وبكل صفة من صفاته فما أولى

(١) جامع المسائل ت: محمد عزيز شمس، إشراف: بكر بن عبدالله أبو زيد ص ٥٥.

(٢) سبق تخريجه ص ١٥٤.

الاستغاثة بهذين الاسمين أن يكونا في مظنة تفريج الكربات وإغاثة اللهفات وإنالة الطلبات»^(١).

ثانياً: ومع ظهور آثار قيوميته سبحانه لكل شيء من المخلوقات جامدها، ومتحركها، فاجرها، وتقيها إلا أن لآثار قيوميته سبحانه بأوليائه وبمن أحبه شأنًا آخر وطعمًا خاصًا يظهر في حفظه ولطفه ورعايته بعباده المتقين، وهذا يقتضي محبة الله - عز وجل - المحبة التامة، والركون إليه، والتعلق به وحده، والسكون إليه، والرضا بتدبيره.. وفي ذلك يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: «هو سبحانه (القيوم) المقيم لكل شيء من المخلوقات - طائعها وعاصيها - فكيف تكون قيوميته بمن أحبه وتولاه؛ وآثره على ما سواه، ورضي به من دون الناس حبيبًا، وربًا، ووكيلًا، وناصرًا، ومعينًا، وهاديًا؟»^(٢).

ثالثاً: لاسم (الحي القيوم) تأثير خاص في إجابة الدعوات، وكشف الكربات كما جاء في الحديث السابق، وكما جاء في السنن، وصحيح ابن حبان من حديث أنس رضي الله عنه: «أن رجلاً دعا فقال: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لقد دعا باسمه الأعظم الذي إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى)^(٣)، وفي ذلك يقول ابن القيم - رحمه الله - في نونيته المشهورة:

(١) بدائع الفوائد ٢/ ٤١٠.

(٢) طريق المهجرتين ١/ ٢٨١.

(٣) سنن النسائي (١٣٠٠)، وأبو داود (١٤٩٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٣٢٦).

هذا ومن أوصافه القيوم وال
إحداهما القيوم قام بنفسه
فالأول استغناؤه عن غيره
والوصف بالقيوم ذو شأن عظيم
والحي يتلوه فأوصاف الكما
فالحيُّ والقيوم لن تتخلف الـ

قيوم في أوصافه أمران
والكون قام به هما الأمران
والفقر من كلُّ إليه الثاني
هكذا موصوفه أيضاً عظيم الشأن
ل هما لأفق سمائها قطبان
أوصاف أصلاً عنهما بيان^(١)

رابعاً: تضمن هذان الاسمان العظيمان جميع الأسماء وصفات
الكمال لله تعالى. كما سبق في قول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى:
«فكان المستغيث بهما مستغيث بكل اسم من أسماء (الرب) تعالى وبكل
صفة من صفاته».

وكما قال - رحمه الله تعالى - في نونيته الشهيرة:

وله الحياة كمالها فلاجلِ ذا
وكذلك القيوم من أوصافه
وكذاك أوصاف الكمال جميعها
فمصححُ الأوصاف والأفعال والـ
ولأجلِ ذا جاء الحديث بأنه
اسم الإله الأعظم اشتملا على اسـ
فالكلُّ مرجعها إلى الاسمين يد

ما لللمات عليه من سلطانِ
ما للمنام لديه من غشيانِ
ثبتت له ومدارها الوصفانِ
أسماء حقاً ذانك الوصفانِ
في آية الكرسي وذي عمرانِ
م الحيِّ والقيوم مقترنانِ
ري ذاك ذو بصرٍ بهذا الشأنِ^(٢)

(١) الكافية الشافية ص ٢٤٨.

(٢) المصدر السابق ص ٦٥، ٦٦.

خامساً: الخوف منه سبحانه ومراقبته لأنه القائم على كل نفس، المتولي أمرها، الحافظ لأعمالها الذي لا يخفى عليه شيء من أمرها.

يقول الشوكاني رحمه الله تعالى: عند قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣].

«القائم الحفيظ والمتولي للأمر. وأراد سبحانه نفسه فإنه المتولي لأمر خلقه، المدبر لأحوالهم بالآجال والأرزاق، وإحصاء الأعمال على كل نفس»^(١).



(١) فتح القدير ٣/ ١٢٠.